ملامح التوجه الإسلامي..
في ديوان «حدائق الصوت» لحسـ

أقرر بادئ ذي بدء أن عدداً غير قليل من الشعراء الذين يسلكون النهج الإسلامي في إبداعهم يصدرون عن تصور غير صحيح لطبيعة الشعر، فالشعر ذو التوجه الإسلامي عندهم لايعدو كونه ترصُّداً للمناسبات الدينية كمولد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو الهجرة المباركة أو الغزوات ومعارك الإسلام ضد خصومه من المشركين والمرتدين والصليبيين والتتار، إلى آخر ذلك من المناسبات الإسلامية، ثم تناول هذه المواقف في قصائدهم.

ولا اعتراض لنا على ذلك، غير أن مايكتب في كثير من الأحيان مجرد نظم يغلب عليه السرد التاريخي للحدث، ثم استخلاص العبرة بطريقة يغلب عليها الوعظ والإرشاد المباشران، فأين الشعر بمفهومه الصحيح في ذلك كله؟

وعندما أستعرض في ذاكرتي أسماء الشعراء ذوي النهج الإسلامي، أجد أن عدداً كبيراً منهم مجرد نظَّامين من شعراء المناسبات، بينما القلة منهم شعراء حقيقيون يفهمون طبيعة الشعر فهماً صحيحاً، ويبدعون شعراً تتحقق فيه كل المعايير السليمة للإبداع الشعري مع الأخذ بكل آليات التجديد، من صدق فني في تناول التجربة الشعرية، إلى معجم شعري زاخر بالشحنات الإيحائية المعبرة، إلى صور فنية يتعانق فيها الجزئي مع الكلي تحقيقاً لبناء شعري قائم على التشكيل والتصوير، لاالمباشرة والتقرير، مع عمق في التناول يؤدي إلى شيء من الغموض الآسر بحيث لايتحول إلى نوع من التعمية والإلغاز، إلى شيء من الرمز يشي بما يريد الشاعر أن يعبر عنه على أساس فني صحيح، هذا إلى جانب توظيف تراثنا العربي والإسلامي أو بعض مفردات التراث الإنساني التي لا تتعارض مع قيم الإسلام ومبادئه، من أجل إثراء العمل الشعري وشحنه بالدلالات والتضمينات الموحية.

وفي الصدر من هذه القلة من الشعراء أصحاب التوجه الإسلامي الصحيح في الشعر يقف شاعرنا «حسين علي محمد».

وديوانه «**حدائق الصوت**» يضم مائة وثلاثة عشر عملاً شعرياً، يرجع تاريخ كتابة بعضها إلى أواخر الستينيات، بينما يعود بعضها الآخر إلى التسعينيات، فهو يمثل تجربة **حسين علي محمد** الممتدة خلال هذه السنوات، ويعبر عن تطور هذه التجربة التي تقدم لنا صاحبها شاعراً مجدداً، يتطور باستمرار مفيداً من آليات التحديث التي تطرأ على المسيرة الشعرية، دون أن ينجرف إلى ماانجرف إليه غيره من حداثة شائهة تعمد إلى الإغراب والتغريب، والغموض المفتعل الناجم عن عدم قدرة على التوصيل، وحشد القصيدة بألاعيب شكلية وألوان بهلوانية مفتعلة، وصولاً إلى ما يسمونه بالحساسية الجديدة، وما نجم عنها من تخلٍّ عن الإيقاع، حتى انتهى الأمر إلى هذا النتاج الشائه الذي يطلقون عليه مسمى «قصيدة النثر».

وهذه القراءة لديوان «**حدائق الصوت**» لشاعرنا المجدد **حسين علي محمد** لن تتعرض لقصائد الديوان كلها، وإنما ستقف فقط عند قصائده التي يتحقق فيها التوجه الإسلامي وعددها ثمان وعشرون قصيدة.

وإذا كان لكل شاعر أسلوبه الإبداعي الذي يلتزم به، وينطلق في مسيرته الشعرية على ضوء مبادئه، فـ **حسين**

ين علي محمد

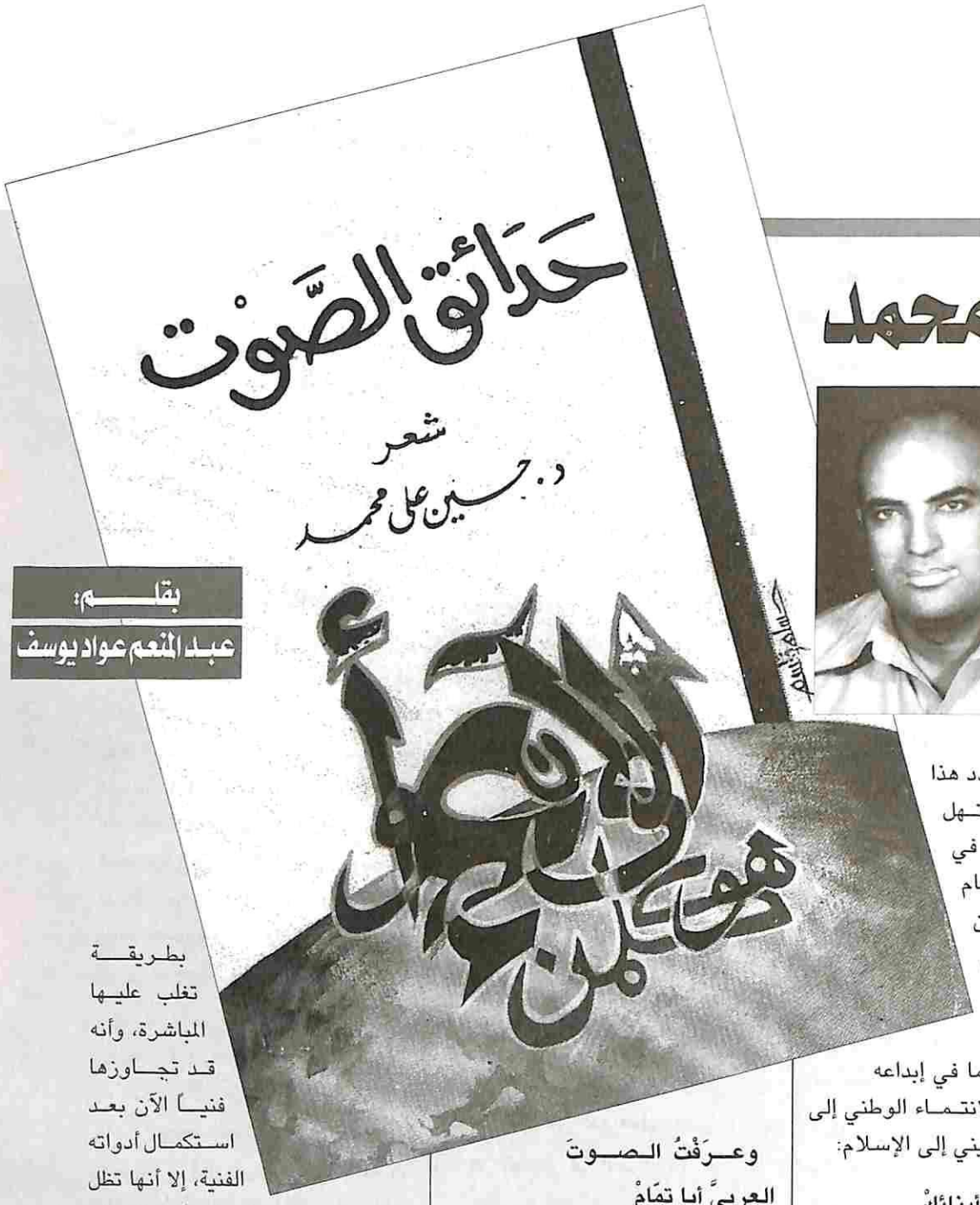

بقلم:
عبد المنعم عواد يوسف

علي محمد يحدد هذا الدستور في مستهل حياته الإبداعية في قصيدة كتبها عام ١٩٦٩م بعنوان «**وشم على ذراع مصر**»، وفيها يبرز انتماءين أساسيين يلتزم بهما في إبداعه الشعري وهما الانتماء الوطني إلى مصر والانتماء الديني إلى الإسلام:

أكتبُ عنكِ وعنْ أبنائكْ
كلِّ الفقراءِ الشرفاءْ
منْ زرعوا أرضَكِ،
وامتزجوا في ذرّاتِ ترابكْ
...
أعرفُ أنَّ الشعرَ رسولُ الإيمانْ
لمْ أقرأْ غيرَ القرآنْ
لمْ أقرأْ «بودلير» و«وايثمان»
بلْ أحببْتُ المتنبِّي
وعـرَفْتُ الـصـوتَ
العربيَّ أبا تمّامْ
وعـشـقتُ الصـوتَ المؤمنَ .. في «حسان»
...
ويظلُّ الشعرُ رسولاً للإيمانْ
سيفاً في الأرزاءْ
أنزفُهُ كلَّ صباح ومساءْ
منْ أجل بنيكِ الفقراءِ الشرفاءْ

وبرغم أن الشاعر كتب قصيدته تلك بطريقة تغلب عليها المباشرة، وأنه قد تجاوزها فنياً الآن بعد استكمال أدواته الفنية، إلا أنها تظل نبراساً سار على هديه، ولم يخرج عن الحدود التي رسمها فيه.

وأول ملامح التوجه الإسلامي في هذا الديوان هو خلوه تماماً مما شاع في شعر الحداثة من إيحاءات جنسية فجة، لا تقف عند حد التلميح، وإنما تتعداه إلى التصريح في كثير من قصائد عدد كبير من شعراء الحداثة.

والملمح الثاني أننا لانجد في هذا

ملامح التوجه الإسلامي.. في ديوان «حدائق الصوت» لـ حسين علي محمد

الديوان أي مظهر من مظاهر التجديف أو الخروج على مبادئ الإسلام وقيمه، أو أية سمة من سمات التعدّي على المقدسات الدينية، أو مخاطبة الذات الإلهية بما يخرج عما ينبغي لها من تقديس وإجلال، فالشيء الذي يدعو إلى الامتعاض أننا نلمس في كثير من شعر الحداثة من مظاهر التعدي على المقدسات العديد والعديد.

وثالث هذه الملامح هو استدعاؤه للشخصيات الإسلامية الهامة، وتوظيفها ـ فنياً ـ في رؤى إبداعية سامقة مفجراً الدلالات الهامة في بعض المواقف والأحداث التي مرت بهذه الشخصيات، ويتحقق هذا الملمح في عدد من القصائد هي: «**من إشراقات عمرو بن العاص ـ أو التحديق في وجه الشمس**»، و«**من أوراق سعد بن معاذ**»، و«**محمد**»، و«**صهيب ينادي: وامعتصماه!**»، و«**ترنيمة بلال**».

وشاعرنا في استدعائه لهذه الرموز الإسلامية لايعمد إلى السرد التاريخي ورصد المواقف والأحداث، وإنما يتخذ منها مجرد منطلق إلى آفاق إبداعية جديدة ورؤى فنية عامرة بالدلالات والإيحاءات، ويتجلى ذلك بوجه خاص في قصيدتيه عن «**عمرو بن العاص**» و«**سعد بن معاذ**».

إن قصيدة «**من إشراقات عمرو بن العاص**» تقدم «بانوراما شعرية» محكمة لسيرة هذا البطل الإسلامي من صحراء الشرك والعناد إلى واحة التوحيد والإيمان، ومواقفه في الهجرة وفتح مكة، ومناوأته لآل البيت، وتنتهي بفتح مصر وبناء الفسطاط، والقصيدة تزخر بالرموز المشحونة بالإيحاءات الدالة.

والشاعر يُقسِّم قصيدته تلك إلى عشرة مقاطع، لكل مقطع عنوان يشي بالرؤية الفنية التي يتضمنها المقطع، ويحمل المقطع العاشر والأخير والذي يعبر عن الاستقرار بأرض مصر، وبناء الفسطاط، وما تنتظره البلاد من خير بعد استظلالها براية الإسلام عنواناً فرعياً هو «**العصافير والسنابل**»، وسأكتفي بإيراد هذا المقطع من القصيدة: فكراً، ولغة، وتصويراً:

... وفسطاطُنا
أراهُ نخيلاً من البرْق
يُمطِرُنا بالثمار العجيبة
تنبتُ في ساعديْك العناقيدُ
تجري العيونُ بكفَّيْكَ لؤلؤةً
تتخاصَرُ والموْجَ
(جئتُ من البدْوِ
أحملُ رؤيا السماءِ إلى الأرض
والنهرِ
هلْ تتلاشى الفواصلُ
هلْ تختفي في الجراح؟)

ومن النسيج الأسلوبي الرفيع نفسه يقدم لنا شاعرنا رؤاه الإبداعية عن «سعد بن معاذ» مقسمة إلى خمسة مقاطع، تنتهي بمقطع جعل عنوانه «**أغنية أولى.. أغنية أخيرة**».

يأتي إليكَ الفجْرُ،
يا سعْدُ امتْطِ الأهوالَ مركبة
إلى زمن القصيدْ
رُدَّ اللغاتِ إلى صباها
قدْ قلتَها يوماً لأحمدَ في العُبابْ:
«لوْ خُضْتَ هذا البحرَ خُضْناهُ..»
اخْتصِرْ زمنَ الغيابْ
وهذه صيْحاتُ جندِ اللهِ تبلغُ منتهاها
قدْ جاءتِ الغربانُ غازية
وقلبُكَ صرخةٌ للتلِّ والصحراء
هذي يمامتُكَ التي قَدْ رُوِّعتْ
برؤى الدماءْ
تمضي إلى الفردوس شامخة مُغَرِّدةً
فكيفَ إذنْ تراها؟

وفي المقطع إشارة إلى رد سعد بن معاذ على الرسول الكريم حين سأل الأنصار عن مدى استعدادهم لحرب المشركين، فقال زعيمهم سعد بن معاذ رضي الله عنه قولته المشهورة: «لن نقول لك كما قال بنو إسرائيل لنبيهم موسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، وإنما نقول لك: لو أمرتنا بخوض هذا البحر لخضناه معك».

ويمزج الشاعر بين الماضي والحاضر، حين يشير إلى غزو اليهود لعالمنا الإسلامي اليوم، واحتلالهم لمساحة واسعة من الأرض العربية الإسلامية:

«**قد جاءت الغربان غازية**»

والربط بين سعد بن معاذ واليهود معروف، فهو الذي أشار على الرسول ـ ﷺ ـ بطرد اليهود من المدينة والاستيلاء على أموالهم وحرق نخيلهم حين نقضوا عهدهم معه وآزروا المشركين.

وقصيدة **حسين علي محمد** عن الرسول الكريم «محمد» ﷺ ترنيمة عذبة ذات نفس رومانسي حلو، يتغنى فيها بمقدم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الكون، وما تركه في حياة البشر من آثار خالدة:

تجيءُ إلَيْنا
فيأتي لنا الأقحوانُ
وتأتي السنابلْ
وتُدهشُني أرضُها
إذ يبوحُ شذاها: انتظرتكَ
قلبُكَ للحبِّ مأوى
وللناس منٌّ وسلْوى
وفي القفرِ وردٌ ودِفلى

ومن النسيج نفسه ذي الإيحاء الرومانسي بمعجمه اللغوي وصوره، يكتب الشاعر ترنيمة عذبة عن بلال ابن رباح - رضي الله عنه - يقول فيها:

خلف النوافذ حط عصفور شريد
نقر المساء
فافترّ عنْ فجرٍ جديدْ
فجرِ العصافيرِ التي
غنَّتْ كثيراً للصباحْ
أحَدٌ .. أحَدْ
أحَدٌ .. أحَدْ
أحَدٌ .. أحَدْ
والليْلُ يرحلُ والجراحْ
والشمسُ شمسُ محمّدٍ تجتاحُ مكة
والبطاحْ

ورابع ملامح التوجه الإسلامي في شعر **حسين علي محمد** هو الالتزام بالتعبير عن قضايا المسلمين الكبرى في عصرنا الحاضر، وتبني مبدأ التصدي لمن ينزل العنت بالأقليات المسلمة في بعض المجتمعات ورميهم بألوان من الأذى والعناء، من تشريد وجوع وإذلال.

إن مأساة مسلمي البوسنة وما أصابهم من ويلات على أيدي الصرب وصلت إلى بقربطون الحوامل، وقتل الشيوخ والأطفال واغتصاب الفتيات المسلمات كان لابد أن تستثير نفوس شعراء الإسلام فيعبروا عن تضامنهم مع شعب البوسنة المسلم، والدفاع عن حقه في أرضه، وفضح الممارسات اللا إنسانية التي يمارسها نصارى الصرب ضد هذا الشعب المسلم.

وها نحن نرى **حسين علي محمد** يستدعي شخصية الصحابي الجليل صهيب الرومي رضي الله عنه، ليعبر من خلاله عما حل بأبناء البوسنة المسلمين من مصائب وآلام.

يقول في قصيدته المهداة «**إلى سراييفو المحاصرة**»، والتي جعل لها عنواناً هو: «**صهيب ينادي وامعتصماه!**»:

مشى الرومُ فوقَ جبينيَ هذا المساءْ
وداستْ خيولُهمُ بالسنابكِ وجهَ الضياءْ
وكان «صهيبُ» ينادي
جيوش محمدْ
فلم ترجع الريحُ حتى الصّدى
وضَاعَ النداءْ
وظلِّي تجمّدْ
فلا الأفقُ تعلوهُ راية أحمدْ
ولا الخيْلُ خيلي
ولا الظلُّ ظلِّي!

والشاعر في هذه القصيدة يستعدي شخصيتين تاريخيتين هما «إيزابيلا» و«فرديناندو» اللذين قادا الهجوم الصليبي على قرطبة، وقضيا على الوجود الإسلامي، وذلك للربط بين ماحدث الآن فوق أرض البوسنة من تهديد بزوال الوجود الإسلامي بها، وما حدث منذ خمسمائة سنة من ضياع الإسلام بالأندلس:

إيزابيلا يتطايرُ منْ عينيْها شررُ الموتْ
تحملُ خنجرَ «فرديناندو»
و«صهيبُ» يُنادي: وا مُعتصماه!
يهوي الصوتُ إلى قيعان الصمتْ!

وتعبيراً عن المآسي الإسلامية - وما أكثرها وأفدحها في زماننا!! - يكتب شاعرنا مستنكراً ما أقدم عليه الهندوس من هدم المسجد البابري العريق في «أبوديا» بالهند، والذي يرجع تاريخ بنائه إلى خمسمائة عام، إنه يقول على لسان هذا المسجد في قصيدة بعنوان «**بكائية المسجد البابري**»:

بكلِّ العزْمِ والإصرارِ
كنتُ أريدُ أنْ أحيا
برغمِ الريحِ والإعصارِ،
رغمَ الليل والأفعى
وقلتُ لكمْ:
«سيخْتنقُ الأذانُ هنا
«أبوديا» .. حية تسعى..

ملامح التوجه الإسلامي.. في ديوان «حدائق الصوت» لـ حسين علي محمد

لتهدِمَ قبَّتي ، وتحطِّم الأثمارَ في فنني!»

فلمْ تسمعْ قلوبُكم نداءَ المسجدِ المكلومْ

تركتمْ فيلهمْ يأتي، ليهدمَني

وحطَّتْ فوقَ رأسي البومْ

وإذا كانت القصيدة السابقة بكائية لضياع معلم إسلامي هو «المسجد البابري» فإن القصيدة التي نحن بصددها الآن تعبير عن ابتهاج الشاعر المسلم بتحويل ملهى إلى مسجد في مدينة «قاراتسوه» بجمهورية «قيرغيزستان»، فقد اشترى المسلمون هذا الملهى وحولوه إلى مسجد يحمل اسم الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك جمهورياته، وهكذا كما يقول الشاعر «تحول المكان الجميل من مباءة للشيطان إلى مكان طاهر يذكر فيه اسم الله» يقول الشاعر في قصيدة «القمر المنفي يعود»:

يا «قير غيزستان»

القمر المنفي يعود بسر مكنون

يشرق في ليلك

موصولاً بالسر الأعلى

بين الكاف وبين النون

يلقي بالكأس العطنة

في عمق النهر،

فيطوي أعوام الأحزان!

وهكذا نجد أن شاعرنا لايكتفي بمشاركة العالم الإسلامي أحزانه عند الكوارث والويلات، وإنما يعبر عن الفرحة والابتهاج عندما يحل به مما يستوجب ذلك.

والملمح الخامس من ملامح التوجه الإسلامي في هذا الديوان هو تضمين القصائد لعدد من الإشارات إلى مجموعة من المواقف والأحداث التي كان لها صداها القوي في التاريخ الإسلامي، والديوان يغص بالكثير من مثل هذه الإشارات الدالة، وحسبي هنا لفت النظر إلى بعضها ففي قصيدة «أوراد الفتح» نجد إشارة إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم التي كان النبي - عليه الصلاة والسلام - يجتمع فيها بأصحابه سراً لقراءة القرآن الكريم ومدارسة أمور الدعوة الوليدة:

هذي دار «الأرقم» تحتضن الجمع

وتنشئ فردوساً للفقراء

تلقي أحزانك في الصحراء

تسمو روحك إذ تسمع قرآن الفجر

يرتل في الأنحاء

وفي قصيدة «من إشراقات عمرو بن العاص» نجد تضميناً لموقف «سراقة» الذي لحق بالرسول الكريم - ﷺ - أثناء الهجرة طمعاً في الإمساك به وإعادته إلى المشركين، وكيف غاصت سيقان جواده في الرمال، وكاد يهلك حتى أنقذه الرسول فآمن وعاد ليضلل المشركين بعد أن وعده الرسول بسوار «كسرى»:

كان جواد «سراقة» في الرمل

يهوي ويغرق

واللوح فيه أساور كسرى

وخلفي جيوش أبابيل

تمطرني بالصواعق

ترصد خطوي

ولعل القارئ لم تغب عنه الإشارة إلى جيوش «أبابيل» وهي هذه الطيور التي سلطها الله على جيش «أبرهة» وجنوده من أصحاب الفيل، فأخذت ترميهم بهذه الحجارة التي هرستهم هرساً كما ورد في القرآن الكريم.

والملمح السادس من هذا التوجه الإسلامي في شعر حسين علي محمد نلمسه في هذا التواصل بينه وبين عدد من الشعراء الذين عرفوا بإسلاميتهم في مجال الإبداع الشعري مثل: صابر عبدالدايم ومحمد العلائي ومصطفى النجار، كما يتجلى في احتفائه بعدد من الأدباء أصحاب الاتجاه الإسلامي مثل: محمد حسين هيكل ومحمد عبدالحليم عبدالله وأحمد زلط وحلمي القاعود ومحمد زغلول سلام ومحمد السنهوتي وغيرهم.

فالشاعر يهدي الديوان كله إلى حلمي القاعود الناقد المعروف بتوجهه الإسلامي، والذي أصدر كتاباً بعنوان «الورد والهالوك» يشيد فيه بشعراء الاتجاه الإسلامي وينال من شعراء الحداثة، كما أن شاعرنا يهدي قصائده إلى صابر عبدالدايم، ويهدي أخرى إلى مصطفى النجار.

والملمح السابع والأخير من هذه الملامح هو استخدام المعجم القرآني الثري، يرصع بمفرداته جمله وتراكيبه الشعرية، كما يتجلى ذلك في المقطع التالي من قصيدة «فواصل من سورة الموت»:

يحدس بالفتح ويحلم بالأوج

ويهجس: في الأفق غزاة

تنفل بقرات سبعا
يجتزن جبال الوهم، ويأكلن سمان البقرات
يدخل في سنبلة الحلم
.. ويفرطها في أيدي الأطفال
يتدفق نبع من عدن
كالطير العائد من فردوس الأنفال
يحلق في مملكة الله
ويرعد في طوفان السلوى والمن

في هذا المقطع نجد من مفردات المعجم القرآني كلمات: «الفتح، سبع بقرات سمان، سنبلة، عدن، الأنفال، المن والسلوى».

وفي قصيدة «محاولة للنسيان» يستخدم الشاعر من مفردات المعجم القرآني كلمات: «طيور أبابيل، تسقط أحجارها.، الأنفال، زقوم»

طيور أبابيل تسقط أحجارها
«مخضر هذا السفح بطيب الأنفال»،
«ونداء الوردة في الأعماق شراب من زقوم».

وفي قصيدة «الذي رأى» نلاحظ من مفردات المعجم القرآني كلمات: «مَنٌّ، وسلوى، وسنابل».

كما نطالع في قصيدة «ظمأ السيف» من مفردات المعجم القرآني كلمتي «صافنات» و«الأنفال».

ولنقرأ هذا المقطع من قصيدة «أيتها الوردة»:

كانت تنحل غدائرك الفياضة فوق شطوطي أصدافاً
وجداول وضفافا
تنفرط لآلئك وزهرة صمتك
بين يدي جنائن زهر
أزواجاً ألفافاً

ولنلاحظ النسق التعبيري القرآني في قوله: «أزواجاً ألفافاً»، فمثل هذه الصياغة لايمكن أن تحقق إلا لشاعر عايش التعبير القرآني، وتمرس بطرائقه الأسلوبية.

في قصيدة «في العينين كلام» استخدم فيها الشاعر ـ برغم أنها قصيدة حب عادية ـ كثيراً من التراكيب المستوحاة من النسق القرآني للأسلوب:

«أيوب ينادي: إني مسني الشيطان بنصب وعذاب
«ويضيق الصدر ولاينطلق لساني»
«فأخرجنا من جنات وعيون»

ولنقرأ هذا المقطع كاملاً من القصيدة نفسها:

مشينا في الظلماء
رأيت النار، دهشت
ـ انتظري..
آنست النار
سآتيك الليلة بشهاب قبس..
قالت: لاتتركني في الظلمة وحدي
فأحطْتُك بذراعيّ
نوديتُ من الوادي الأيمن
إنا سخّرنا معكَ الجبل يُسبِّحُ والطَّيْرَ
شددْنا أزْرَكَ
أعْطيناكَ الحكْمة
أرفعُ رأسي
ـ كيفَ تأخَّرَ وعدُك؟
كيف تلاشتْ في اليَدِ خُطايْ؟

مقطع لايكتبه إلا شاعر مسكون بالحس القرآني، عارف بأصول الصياغة القرآنية، ملم بجوانب الإعجاز في الأسلوب القرآني، وهذا ما تحقق لصاحب الديوان.

وفي قصيدة «السفر» التي يرثي فيها الشاعر ابنته الطفلة «فاتن» يستخدم من المعجم القرآني «طبقا عن طبق».

وتتجلى براعة الشاعر الأسلوبية في قدرته على تحويل نمط أسلوبي جاهلي إلى نسق آخر لاينبو عن الذوق الإسلامي، ومن ذلك تطويعه لمطلع معلقة عمرو بن كلثوم الذي يقول فيه:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا
ولاتبقي خمور الأندرينا

بحيث ينسجم مع التوجه الإسلامي في آخر قصيدة من «أربع قصائد قصيرة إلى الكعبة المشرفة:

تعالي، وهبي بصحنك
واسقي فؤادي متى شئت..
شربتك الزمزمية
تطهر فؤادي من الرجس والجاهلية

هذه مجرد قراءة أولى لبعض قصائد هذا الديوان الثري، والذي أعتقد أنه جدير بأكثر من قراءة، وأرى أننا سوف نخرج مع كل قراءة جديدة له بأشياء وأشياء.

من ثمرات

الدكتور عبدالعزيز حمودة د

الناقد الحـ

حوار: كريم محمد*

■■ ما من كتاب أثار ردود فعل متباينة مثل كتاب «المرايا المحدبة» للدكتور عبدالعزيز حمودة، الناقد والمؤلف المسرحي فهو ليس مجرد كتاب نقدي، بل محاكمة لتيار الحداثة العربية في العشرين عاماً الأخيرة، هذا التيار الذي اعتمد نقل وترجمة النظريات النقدية الحداثية الغربية واعتبارها كشوفاً تم تطبيقها بكثير من التعسف على الأدب العربي قديمه وحديثه، بشكل يجعل هذه النصوص الإبداعية الواضحة، نصوصاً غامضة بما يحملها النقد من أسهم ودوائر ومثلثات وتقاطعات ومعادلات، يبدو النص معها وكأنه غابة متشابكة لا يستطيع القارئ الفاهم والقارئ المتخصص السير فيها، كما ينص في كتابه هذا على النقاد من أصحاب التوجه القائل بعلمية النص النقدي، إذ إن ذلك يلغي الدور الهام للنقد لصالح نرجسية النقاد المحدثين الذين تخلوا عن كون النقد هو وسيط إبداعي توضيحي بين النص الأدبي والقارئ كما كان على مدار عصور النقد السالفة، ليصبح في رأيهم علماً قائماً بذاته، يتخذ في سبيل تجليه النص الأدبي مطية له!

ولكن أكثر ما في هذا الكتاب من نقد جذري، أنه أشار بوضوح إلى قلة محصول الاتجاهات النقدية العربية الحداثية في العشرين عاماً الماضية، وأن هؤلاء النقاد الذين تبنوا البنيوية وغيرها من تيارات النقد الغربي المحدثة قد تغافلوا أولاً عن كون هذه النظريات وليدة شبكة من المعارف والفلسفات والحراك الاجتماعي الغربي مما يقتضي الأخذ منها بحساب وتطويعها قبل زراعتها في التربة الأدبية العربية، وثانياً أنهم أخذوا هذه النظريات والمناهج النقدية بعد أن تم تجاوزها إلى نظريات ومناهج جديدة في النقد الغربي نفسه!

هذه الصراحة وهذا الوضوح الذي ذهب في جذريته إلى حد القسوة على النقاد والحداثيين جميعهم أقام الدنيا ولم يقعدها منذ صدور الكتاب وحتى هذه اللحظة، من هنا كان «الأربعاء» إلى جوار القضية المثارة والمعركة المفتوحة التي دخلها أقطاب الحداثة النقدية وأقطاب المحافظة النقدية، لتحاور صاحب الكتاب الدكتور عبدالعزيز حمودة، الذي جاء كلامه في هذا الحوار أيضاً جذرياً وواضحاً في اتجاه تأكيد موقفه الذي تبناه في الكتاب والذي يمثل موقف زملاء كثيرين له تعرضوا ـ على حد تعبيره

* نشر الحوار بالملحق الأدبي «الأربعاء» لصحيفة «المدينة» السعودية الصادر في ١٧ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ الموافق ٧ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٨م..ص ١٨ ـ ١٩.